خفايا الظلام

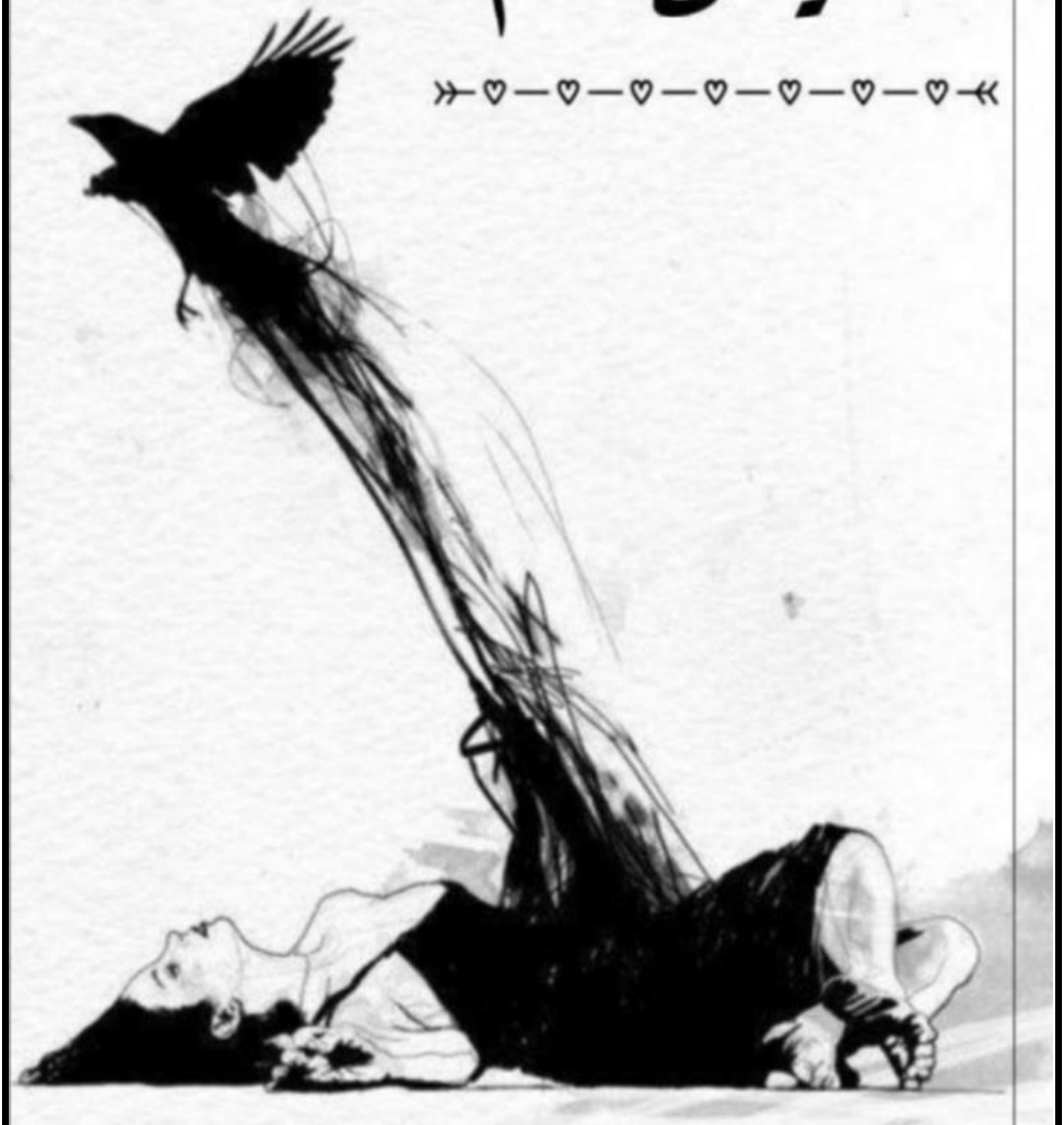

الكاتبة: إستبرق نزار عباس

insta: istapriq_nazar

خفايا الظلام

استيقظت في منتصف ليلة ماطرة ، كانت الرياح تكادُ أن تقتلع جِدران المنزل ، والامطار تهطل بغزارة ،كانت تسمع أصواتًا غير مُعتادة ، مُرعبة للحد الذي أفزعها، لم تُكن تلك الأصوات لبشريًا او حيوان ، ولاتبدو كأنها اصوات الرياح العاتية ، او حركة النوافذ التي هشَّمت زجاجها العاصفة ، بل كانت اصواتًا غريبة كأنها من الجحيم ،...

عادت إلى النوم ، كانت مُنهكة مُتعبة ، انهُ يومًا شاقًا ،...

حيث كان أوَّل يوم لأوليندا في منزلهم الجديد ، بعد إن قرر والدها الإنتقال من المنزل القديم المُتهاوي،...

إشترى والِد أوليندا المنزل قبل شهر تقريبًا ، بمزادٍ علني ، كان لِمُزارع في منتصف العمر ، يعيش مع والِدهُ القس ، إبتاعه بثمن لايُساوي فخامته ، كان مبنيًّا على الطراز الكلاسيكي القديم ، كبير الحجم ومُوحش ، بالنسبة لعائلة صغيرة كعائلة أوليندا الوحيدة لأبويها ، لكنه في نفس الوقت كأن ساحرًا كأنه روضة من رياض الجنَّة،...

يقع المنزل في إحدى القرى النائية ، في وسط مزرعة كبيرة كثيفة الأشجار ،مُحاطة بالجبال ؛ أمامها مُباشرةً بعد الحديقة الامامية ،للمنزل المزروعة بأشكال مختلفة من الورود ، ونبات الصبار ،وشُجيرات جوز الهند ، تقع بحيرة كبيرة ،لاتُسمع أيَّة اصوات سِوى اصوات الطيور المُختلِفة على الأشجار حول المنزل ، كان منزل الأحلام لعائلة أوليندا ،...

أوَّل يوم لِأوليندا في المنزل الجديد ، كان بتاريخ 11/12/1888 ،بدأت حياتها تتغير منذ أوَّل يوم لها في المنزل ،...

في اليوم التالي بوقت مُتَأخِّر من الليل شعرت أوليندا بالنهاس ، بعد يومٍ حافل ، أَخلدت إلى النوم وتركت نافذة غرفتها مفتوحة ، كان ضوء القمر يتسللُ إلى جبينها ، تبدو وكأنها ملاكٌ نائِم ، حسناء ،مرنة ، لها عينان عسليتان ، لها قوامٌ ممشوق ، شعرها

الطويل الناعم الأشقر بلون شعاع الشمس ، بشرتها البيضاء الناعمة كالحرير ،...

أثناء نومها شعرت بأن شيئًا يُلامس خصلات شعرها،

لكنها مُتعبة و غارقة بالنوم لم تستطع فتح عينيها ،

قالت بصوتٍ خافت :

_أمي ارجوكِ أبتعدي بالكاد أستطيع التَّحدُّث ، لا اقوى على تحريك يدي أُتركيني لأنام ،...

فهي مُعتادة أن تَيقُضها والِدتُها كُل يوم في الصباح باكِرًا ، عادت إلى النوم مُجدَّدًا ، وإذا بها تشعر بتلك اللمسات من جديد تُداعِب كُلَّ خصلة من خصلات شعرها ، فتحت عينيها قائلة بصوت مرتفع :

_ توقفي ام... لم تُكمل كلمة امي بعد؛ فلم تجد احداً حولها!!!...

قامت مرعوبة مِن على سريرها ، لمست شعرها تتفقد اذا ماكان هُنالك فأر او حشرة دبَّت على شعرها ، نهضت من سريرها مُسرِعة ، أوقدت المصباح لكنها لم ترى شيئًا ،...

تنظر يمين ويسار، ... لاشيء

نظرت إلى النافذة فوجدتها مفتوحة أغلقتها،...

جلست على السرير مُرتابة تتساءل ما اذ كانت تَحلُم ؟!

رغم أنها أحست باللماسات وكانت واضحة لاتبدوا كأنها تَحلُم ، إلا أنها أقنعت نفسها بأنهُ حلم ، للتخلص من خوفها وتعود إلى النوم ، في هذهِ الاثناء وقع نظرها إلى الساعة كانت الساعة ال ٣:٠٠ صباحًا ، وضعت رأسها بسرعة على الوسادة وأكملت نومها ، استيقظت في الصباح الباكر على صوت أبيها ،...

ذهبت لِتستحم ، خلعت ثيابها أمام المرآة وهِيَ تتحدث إلى نفسها وتتساءل :

_ أيُعقَل هذا الجمال لم يلامسهُ أحدًا ؟!!،

بدأت قطرات الماء تنهال على جسدها ، استدارت بإتجاه أحد جدران الحمَّام مُغمضةً عينيها ، ومع صوت الماء المُتَدفِّق بغزارة على جسدها النَّاعِم، سَمِعت صوتًا غريب جدًا !! ، كان يهمس ، لم تستطع تحديد مصدرهُ

_جسدكِ ناعم يستحق الإحتلال، ...

فتحت عيناها تنظر لم تجد أحدًا ، أكملت استحمامها بِعُجالة وخرجت تركض إلى الغرفة ارتدت ثيابها وجلست امام المرآة تُمشِّط شعرها ،وتفكر بالصوت الذي سمعته قائله : هل أنا أتخيَّل ام جُننت ؟!

أصبحت كل يوم تسمع هذا الصوت يقول كلمة أو كلمتين ويذهب لم تعرف من يتكلم واستمر هذا الحال لمدة ثلاثة أشهر ، كانت مُنزعجة وتفكر كثيرًا خائفة من ان تكلم والديها بما يحدث ويظنّا انها مجنونة ، ولكن تحلت بالشجاعة وذهبت إلى والدتها للتحدث معها بخصوص الصوت الذي تسمعه كل يوم ، وبقيت تفكر بطرح الموضوع بطريقة لاتخيفهم ولا تجعلهم يفكرون انها مجنونة ، خرجت من غرفتها تسير بهدوء وتبحث عن والدتها ، فوجدتها في المطبخ دخلت عليها مبتسمة وسألتها عن ماذا تعد للعشاء وعن دعوة والدها اليوم لأصدقاء العمل في المنزل وبدأت بالحديث

_أمي هل تسمعين صوت غريب كل يوم ؟

_لا لمَ تسألين ؟

_ لا شيء ياأمي يبدو الطعام شهيٌ للغاية ،...

خرجت من المطبخ متجهة إلى غرفتها دخلت وأغلقت الباب جلست على السرير تفكر وتفكر بما يحدث لها ، سمعت صوت والدتها وهي تقول لها بااعلى صوت بأن عليها أرتداء أحسن الثياب ولتسرع لأن الضيوف على وشك أن يصلوا ،...

اخرجت من الخزانة فستان جميل لونه أحمر ، ارتدت الفستان وأحلت شعرها الذهبي ووضعت أحمر شفاه بلون أحمر داكن وحذاء أرفع من قامة طولها ، ذهبت نحو صالة الضيوف ،

أوليندا : مساء الخير

وبعد أن ذهب الضيوف شعرت أنها تختنق تنظر وكأنه لايوجد هواء خرجت مسرعة من البيت تركض في الحديقة ، جلست على كرسي تستريح ، فَسمعت ذلك الصوت نفسه الذي تسمعه كل يوم ولم تعرف من أين ومن هو صاحب هذا الصوت الغريب...!

بدأ وكأن شيئًا يُحاول الإقتراب منها ، وقفت خائفة نظرت إلى الأرض وإذا بها ترى خيالًا لم يسبق لها أن رأته ، لم تعرف ماهوَ ، كانت مذعورة، ترتعشُ خوفًا تشكُ في واقعها وبأنها تَحلُم ، قائله في نفسها : كأنه إله من أحد الأساطير اليونانيَّة القديمة

_ ياحسناء أنا من اهل هذا المنزل لاتخافين مني لن أؤذيكِ

سكنت أوليندا في مكانها لاتتكلم فقط تسمع لوكانت تستطيع الركض والدخول إلى المنزل لركضت مسرعة ولكن من شدة الخرف لا تستطيع ان تحرك قدمها خطوة واحدة ، وبدأ الخيال يقترب منها وهي تردد في قلبها يالهي ماهذا بحق الجحيم ، بدأ يُلامس شعرها من خلف تَقرب اكثر فاكثر قائلًا لها بأنه عشقها وجمالها اسرهُ وبأنها ستكون لهُ ، وبعدها أختفى هذا الخيال والصوت ، وهي في حالة صدمة كبيرة ، عادت من الحديقة إلى المنزل ورحت تركض إلى غُرفتها وبدأت الكلام مع نفسها ، يبدو خيالهُ كالوحوش لهُ قرنان وضخم للغاية ، وهي تفكر به شعرت بُنعاس شديد فألقت بنفسها على السرير حيث كانت مُنهكة من شدة التفكير ونامت ، حين أستيقظت في صباح اليوم التالي أستجمعت شجاعتها و اتخذت قرارها بأن تكلمة، إنتظرته أن

يُخاطبها مرة أُخرى لكنه لم يأتِ،...

انتظرته لأيَّام، ...في اليوم السابع كانت جالسة في غرفتها التي لم تُغادرها إلا لحاجة ماسَّة ، تُفكِّر فيما رأت حتى ذبُلت ملامحها ، وعلى حين غرِّة فإذا بها تسمع ذلك الصوت يُكلمها مرة من جديد !

أستغربت أوليندا من الذي حدث ! وتساءلت : لماذا غاب طوال هذهِ المدة بعد ماكان يأتي يوميًا على مدار ثلاثة اشهر ؟ وفي هذا الأثناء نادت الأم أوليندا قائله : عزيزتي سوف نذهب اليوم إلى منزل جدتكِ ، إرتدي ثيابكِ قبل أن يُجَهِّز أباكِ عربة النقل لا أُريد ان يحل علينا الظلام اثناء عودتنا ،...

كان والِد أوليندا في الإسطبل ، نادى زوجته وأبنته واخبرهن بأنه حان وقت الذهاب ، كانت أوليندا تنتظر هذهِ اللحظة منذ مدة ليست بالقليلة حيثُ كانت مُشتاقة لجدتها التي لم تراها منذُ ان انتقلوا لمنزلهم الجديد ،...

تسكُن جدة أوليندا في باده شرق المدينة تَبعُد خمس ساعات عن قريتهم النائية ، ...

أخبرت أوليندا والدتها بأنها آتية ، وهي تمشي بتجاه باب الغرفة لتخرج سمعت صوته يقول :

_لاتذهبي

فتحَّلت بالشجاعة ، وقررت مواجهة ذلك الشيء المرعب

،نادت على أمها وأخبرتها أنها ليست بخير ، وبأن عليها البقاء في المنزل ، أستغربت والِدتها قائله :

_عزيزتي هل نآخذكِ إلى الطبيب ؟

_ لا يا أمي أنا مرهقة لابأس سأنام واكون بخير

وَدعت والِديها ودخلت إلى غرفتها تنتظره وتقول : ها أنا لم اذهب أخرج وتكلم معي من أنتَ؟ وماذا تُريد؟

لم يخرج حتى حب الظلام ، تأخرا والدا أوليندا عن العودة للمنزل ،

فجأة سمعت صوت أفزعها ، يطلب منها ان تطفىء المصباح ،

شعرت بالخوف لكنها تمالكت نفسها مُجددًا ، أطفأت مصباح غرفتها والظلام عم حياتها ليس فقط غرفتها ،...!

وقفَ أمام نافذة غرفتها والقمر يضيء ظلام الشيطان لكي ترى ، نعم رأته والفرع بان عليها والتعجب ، إرتجفت من الخوف ومن شكله بقيت ساكنه في مكانها ، أخبرها بأن لاتخاف منهُ وانهُ لن يؤذيها وهل يعقل أن يؤذي من يَحُب ...!

_تكلمي ياجميلتي لاتخافي

_ماذا تُريد ؟

_لا أريد شيء من هذهِ الحياة سواكِ

_وكيف هذا أنا لا أصدق مستحيل هذا يحدث ،...!

_هل المستحيل أن أحبكِ وتكونين لي؟

_نعم مستحيل يحدث هذا بين بشر وشيطان نعم أنك شيطان

_لقد أحببتكِ وانكسر قول المستحيل الذي تقولينه ، لنكون معًا سرًا .

_بالطبع لن يحدث هذا أتمنى منك ان تخرج من حياتي دون عوده .

_هههههههه تتكلمين مع شيطان بإستطاعتي أن اجعلكِ تُحبيني.

_هل فعلًا أنتَ قادر على فعل هذا ؟

_ نعم أنا قادر على فعل الكثير ليسَ هذا فقط.

_ حسنًا لنتفق لمدة شهر إذا لم أحبكَ تخرج من حياتي ولن تَعود مجددًا.

_ حسنًا .

وفي رمشة عين أختفى الشيطان ، وجلست تفكر كيف لشيطان ان يحب بشرًا ، أثناء هذا دخل والِداها المنزل ، ركضت مُسرعة بإتجاه والِدتُها وعانقتها ، اخبرتها أنها بخير ، وسألت كيف كانت سفرتهم وكيف حال جدتها ،...

في الساعة ١٢:٠٠ ليلًا ذهبت أوليندا إلى غرفتها لتنام ، حين دخلت الغرفة أنصدمت من المشهد الذي رأته ، كان جالس على سريرها ، أخبارها بأن تغلق الباب ، أغلقت الباب ووقفت أمام السرير وهي غاضبة ، أخبرته بأن يرحل من هنا ، لكنهُ رفض ذلك

وقال لها :

_إذا رحلت كيف لي أن اسرق قلبكِ ، تعوَّدي على مجيئي كل يوم لمدة شهر

قالت لهُ بأن يرحل الآن وها قد رأته اليوم ، لكنهُ رفض قائلًا:

_لن ارحل قبل ان أُمارس طقوس الحب معكِ

_وماهي طقوس الحب ؟

نهض من السرير وبات يسير بخطوات بطيئة أمام أوليندا وهي تتراجع للِخلف إلى أن لاصق جسدها الحائط ، تقرب منها ولامس خصلات شعرها ورفع رأسها إلى الأعلى نظر إلى عيناها ، لامس أصابع يديها وقال :

_هل تعلمين متى تمنيت لو أنني من البشر؟

_متى؟

_ عندما رأيتكِ ترتدين الفستان الأحمر ، وتضعين أحمر الشفاه الأحمر ، فأنتِ تفعلين كل مايجذبني ،...

وأختفى برمشة عين كعادته ، أصبحت تفكر كثيرًا به دون أن تتوصَّل إلى نتيجة ، محتارة في ريبة من امرها ، فكلامه اسعدها ، رغم خوفها منهُ ، ضحكت والقت بنفسها على السرير ونامت ،... ولم تستيقظ في الصباح ، تأخرت في نومها حتى المساء ، عندما فتحت عيناها تفأجت انه الشيطان محلق فوقها ينظر إليها ، نظرت إلى الساعة أنها الثانية عشر مساءً ، بدأ يقترب من السرير جلس أمامها كالعادة لامي خصلات شعرها قائلًا :

_شعرٌ كالذهب وعينان ككوكب دري ، بدأ يلامس شفتيها ، أيحقُ لي أن أتذوق نبيذكم فأنا لم اتذوقه مسبقًا ، أنا محب للتجارب .

أخبرته بصوتٍ خافت جدًا بأن لايفعل هذا ودقات قلبها تتسارع ،...

الام: أين أنتِ لم تخرُجي من غرفتكِ بعد .

فتحت باب الغرفة ، رأت أوليندا مرتابة أخبرتها بأنها آتيه ، عادت تنظر في كل زوايا الغرفة لم تجدهُ انه سريع الاختفاء .

وبقيا على هذا الحال لمدة خمسة وعشرون يومًا ، نسيت أنها في تحدٍ مع شيطان ونسيت إنها من حنس البشر ، هَامت به عشقًا ، سَلب قلبها بكلامه وحبه وتقربه منها في كل يوم أكثر وأكثر ،... بقيت خمسة أيام وتنتهي المدة التي وضعتها أوليندا ،...

وقبل أنتهاء المدة بثلاثة أيام جاءها كالعادة وهي نائمة ، يلامس خصلات شعرها إلى أن أستيقظت رأتهُ وابتسمت ،

_إلى متى ياجميلتي نبقى على هذا الحال ولانقيم طقوس الحب .

_ نحن عشاق ولا مانع لدي من أن نقيم طقوس الحب .

قالتها ولم تُدرك إنها تُؤدي بنفسها إلى التهلُكة ،... أخبرها بأن تذهب معهُ إلى مكان تنسجم فيه اروحهم ، أخذها الى مكانٍ جميل وكان آخر مكان جميل تراهُ ، كوخًا صغيرًا يطل على البحر تُحيطْ بهِ الأشجار من كُل مكان ،

_ أحبكِ ياجميلتي الفاتنة ، هيا لندخل إلى الكوخ

دخلوا الكوخ وكان مرتب ونظيف المنظر اسر عقل أوليندا ، تقرب منها ومسك يديها وهمس في أذنها ،

_سبق وإن قُلتُ لكِ أن هذا الجسد الجميل يستحق الإحتلال .

_ نعم تذكرت عندما كنت استحم قلت هذا ، هل ستتركني يومًا ما ؟!

_اترككِ في حال متي واختفيتي من الحياة .

وبدأ يقبل رأسها بكل حب ، كانا مُنسجمين وتبادلا القُبَل ، سلمت أوليندا نفسها ، بدأت بخلع ثيابها من على جسدها الناعم ، بدأ وكأنه شفاف لشدة بياضه كائن من نور ، ظهرها الممشوق ، أسنانها اللامعة ، شعرها الذويل ، نهديها الكبيرين المكورين الذان يبدوان كالثلج ، إنوثتها الطاغية ،... كانت فاتنة بحق لايستطيع أيّ كائن ان يُقاوم فتنتها ،...ترافعت أصواتهما ، كانت مُنتشية ، في البداية شعرت بلذه ومتعة لم تشعر بها من قبل ، وكأنها تحلُم ، كأنهُ شيئًا من الخيال ،... وبعدها انصدمت بما حدث لها ،...

_اذهب لا أُريدك أنا اكرهك ماذا فعلت بي ، إنتزعت روحي من جسدي لوكنت أعلم إنك سوف تفعل بي مافعلتَ لما أتيت معك ، إنك وحش وهذا الشيء يجب عليّ أن لا انساه ابداً أنا مُرهقة جدًا .

باتت تبكي من وجع جسدها الناعم الَّذي دنسه الشَّيطان وزرع فيه بذرة الشر ، نامت في الكوخ حيث كانت لاتستطيع الحركة ، نَدُم الشيطان على فعلته لانه أحبها بِصدق،... في اليوم التالي عادت إلى المنزل ، عندما دخلت المنزل وجدت والِديها ينظران وملامح الخوف والقلق والحيرة على وجهيهما ، ركضا نحوها وصرخا بصوتٍ عالِ

_ أين كنتِ يا أوليندا ؟ كيف تخرجين من المنزل دون أن تُخبرينا ، لم يسبق لكِ أن تفعلي فعلتكِ هذهِ طوال حياتكِ ، مع من كُنتِ ، كُنَّا نبحثُ عنكِ طوال الليل ، ظننا مكروهًا قد حصل لكِ ، ماذا حدث ، لم ننم طوال الليل كنا قلقين عليكِ.

لم تتفوه بحرفٍ واحد ، كانت كالمصدومة ، شاردة الذهن ، لم تعرهم أيُّ إنتباه ، حضنت الام أبنتها بقوة

_ هل حصل لكِ مكروه ولماذا وجهكِ مُحمر وشكلكِ في حالة يُرثى لها لم تكوني بمثل هذا المنظر من قبل ،...!

_دعوني وشأني أُريد أن ارتاح ،...

ذهبت إلى غرفتها كي ترتاح فوجدت عشيقها في الغرفة أغلقت الباب ، وتقربت نحوه بعصبية

_ ماذا تُريد اخرج من حياتي لا أريدك ألا تفهم ماذا اقول !

_أنا أحبكِ لاتفعلي هذا بي ، لاتُجبريني أن أستحوذ على جسدكِ .

كانت غاضبة جدًا ولم تُدرِك معنى كلامه ، أخبرته بأن يفعل ما يشاء ويخرج من غرفتها ومن كل حياتها ، لكنه لم يتقبَّل فكرة أن أوليندا لم تعد تحبه وأنها لاتُريده في حياتها ،... فستحوذ جسدها

سقطت على الأرض قدمها ترتجف لاتستطيع السيطرة عليها ، ترى كل الأشياء تدور حولها ، أحست أوردة قلبها تتقطع ، بدأت بالصراخ على أمها ، سمعوا صراخها وركضوا مسرعين نحو غرفتها ، نظروا إلى أوليندا ساقطة على الأرض ترتجف ، حمل الأب ابنته ووضعها على السرير ، والام تركض مسرعة لتأتي بالماء وتمسح على وجهها ، لم يعرفوا ويفسروا مابها أبنتهم ، قررا أن يأخذها إلى المستشفى حالًا ، ولكن لافائدة لأن روحها إستحوذ عليها الشيطان ، وفي طريقهم الى الُمستَشفى ،

قالت : توقفا يامن أحباني بصدق ولم يوذياني يومًا ، أنا أحبكم سنلتقي ، لكن ليس في الحياة .

ثم نادت بصوتٍ خفي هل تسمعني ياعشيقي ، عندما تثق بشخص تسلم حياتك بيده حينها سيصبح موتك سهلًا .

وكان هذا هو اليوم التاسع والعشرين من الشهر ، أغمضت عينيها وتوقفت دقات قلبها ، خرج الشيطان من جسدها ، وقف جانبًا يبكي قائلًا : في قانون الشيطان العاشق (إن لم تكن له فتكون تحت التراب)

الحب يؤدي بنا إلى الموت أحيانًا